من الأدب الفرنسى :

حنين مسلتين

Hostalgies d'Obélisques

للشاعر الفرنسى تيوفيل جوتييه Théophile Iyautier

بعد أن تغادر حدائق التويلرى، المغروسة أمام متحف اللوفر تري ميدان الكونكورد أجمل ميادين باريس .

فى وسط هذا الميدان الفسيح الحى تنهض إحدى المسلات المصرية ، وقد أقيم قريبا منها على الجانبين فوارتان ، وإذا أنت وقفت أمام هذه المسلة رأيت عن يمينك la Msdeleine ، وعن يسارك مجلس نواب فرنسا ، مطلا على نهر السين ، وأمامك طريقا يصل إلى غابة بولونيا .

منذ زهاء ثلاثة وثلاثين قرنا ، أنشا هذه المسلة وأختها إمبراطور مصر رمسيس الثانى ، حيث أقامهما عند باب معبد الأقصر ، وقد ظلت المسلتان معا واقفتين أمام هذا المعبد الضخم ، حتى القرن الماضى ، حينما أهدى محمد على الكبير إحداهما إلى ملك فرنسا لويس فيليب ، وهى القائمة الآن بميدان الكونكورد ، وأما المسلة الثانية ، فظلت حيث أنشئت وحيدة .

أنشأ الشاعر الفرنسى تيوفيل جوتييه قصيدتين : إحداهما على لسان المسلة الغربية بباريس ، والأخرى على لسان المسلة المقيمة بالأقصر .

وتيوفيل جوتييه من أدباء القرن التاسع عشر ، ولد فى أوائله ، وبدأ حياته رساما ، ثم ترك ريشة المصور إلى قلم الاديب ، غير أنه قد ظل فى الأدب رساما كذلك

وهو يرى أن من صحة الأدب أن ينافس الفنون الأخرى كالرسم ،

والتصوير ، والحفر ، فيما تتناوله من الموضوعات وقد حقق فكرته فى ديوانه Rmaux et Camées ، فموضوعاته تصوير لما تراه العين ، قبل أن تكون تعبيرا للاحساس والشعور ، فتراه يصور لك فيه مثلا ، تمثالا فى متحف أو آنية مزخرفة ، أو باريس تغطيها الثلوج إلى غير ذلك من صور تراها العين .

وهو الذى أذاع نظرية الفن للفن ، فأهم شىء عنده هو الجمال الفنى والأسلوب أما الفكرة والأخلاق ، فى المرتبة الثانية ، ولقد كان قدوة لغيره فى استخدام الأساليب الدقيقة المصورة ، ولعلنا نوفق يوما إلى دراسة مذهبه فى الفن ونقد هذا المذهب .

ولم يقتصر تيوفيل جوتييه على قرض الشعر ، بل له قصص صغيرة ، وروايات مطولة ، منها رواية كتبها عن مصر تسمى : قصة المومياء le Roman de la Momie وصف فيها حياة مصر القديمة ومجدها .

وقد ترجمنا لمسلتين بديوانه الذى تحدث عنه ، وها نحن أولاء ننقلهما إلى اللغة العربية نثرا ، محافظا كل المحافظة على ما قصد إليه الشاعر من أفكار وصور .

— ١ —

مسلة باريس

١ — فى هذا الميدان أتضجر أنا المسلة المبعدة عن أختها . الجد ، والصقيع والرذاذ ، والمطر ، بردت جنبى الذى علاه الصدأ .

٢ — وقدمى الهرمية العتيقة ، التى كانت محمرة فى أتون سماء ذات لهب ارتدت بالشحوب ، من حنينها إلى الوطن ، فى جو ، لا يزرق أبدا .

٣ — أمام التماثيل الضخمة العابسة ، وأعمدة بيان الأقصر ، لم لا أقف الآن قريبة من أختى ذات اللون الوردى ! !

٤ — غامسة فى الزرقة الدائمة رأسى الهرمية القرمزية ، وكاتبة خطا الشمس بظلى فوق الرمال .

٥ — مليكى رمسيس ، كاد الخلود يتصدع ، يوم تدحرج جسمى الجميل مقتلعا ، كعود من عشب . باريس تتخذه لعبة !

٦ — الديدبان الصخرى حارس الآثار الضخمة يقف بين معبد (١) كاذب قديم ، وبين مجلس النواب .

٧ — فوق مقصلة (٢) لويس السادس عشر ، أقيم صخر نبى مغزاه ، وفيه سرى الذى نبى منذ خمسة آلاف عام .

٨ — العصافير الطليقة تدنس رأسى ، التى كان يطير مسرعا حولها القلق الوردى ، والصقر ذو الريش الأبيض والمناسر الذهبية .

٩ — نهر السين الأسود ، مأوى مياه الطرقات ، النهر القذر ، المكون من صغار الجداول ، دنس قدمى التى كان يقبلها عند قيضائه النيل والد الأنهار .

١٠ — النيل العملاق ذو اللحية البيضاء المحفوف بنبات اللوتس والخيزران والذى يصب منبعه المنحدر تماسيح بدل صغار الأسماك .

١١ — العجلات الذهبية المطعمه بأصداف كالنجوم ، عجلات الفراعنة العظام الأقدمين كانت تمر بجانبى ، أنا المجروحة الكبرياء برؤية عربة الكراء مقلة آخر (٣) ملوك فرنسا .

١٢ — قديما أمام حجرى العتيق ، كان الكهنة الأبرار ، قلنسواتهم على جباههم ، يتمشون فى المحراب المقدس الخفى ، ذى الرموز المصورة المذهبة

١٣ — أما اليوم فأنا عمود ليست له قداسة الدين ، أقيم بين فوارتين ، وتمر بى بنت الهوى صريعة فى مركبتها .

---

(١) هو معبد La Madeleine

(٢) تقوم المسلة المصرية بباريس فوق المكان الذى أعدم فيه لويس السادس عشر بالمقصلة .

(٣) هو لويس فيليب

١٤ — أرى طول العام مراكب الموسرين ، و(النواب) أتباع سولون(٤) ذاهبين إلى دار النيابة ، والفجرة منطلقين إلى غابة بولونيا .

١٥ — أف ، فى مائة عام ، أى هيا كل عظمية قبيحة ، سيصير إليها هذا الشعب الماجن المجنون ، الذى يرقد من غير لفائف فى لحد يغلقه مسمار .

١٦ — ليس له تحت الأرض مقابر فى مأمن من الفساد ، تلك المراقد التى ينام فيها الموتى جيلا بعد جيل .

١٧ أيتها الأرض المقدسة ، أرض الهيروغليف ، وأرض الأسرار الكهنوتية ، حيث آباء الهول تشحذ مخالبها على زوايا قواعد التماثيل .

١٨ — وحيث النواويس ترن تحت الأقدام ، وحيث العقبان تبنى عشاشها . إننى أبكيك يامصرى القديمة بدموع من (جرانيت) .

— ٢ —

مسلة الأقصر

١ — هأنذا أسهر حارسا وحيدا ، لهذا القصر الكبير الخرب ، فى وحدة أبدية ، وأمام اللانهاية .

٢ — إلى أفق لايحده شىء ، أفق مجدب صامت لانهاية له ، تنشر الصحراء تحت الشمس الحزينة ملاءتها الصفراء .

٣ — وفوق الأرض العارية تبدو السماء ، وهى صحراء أخرى زرقاء ، نقية تامة النقاء ، لاتسبح فيها قطعة واحدة من السحاب .

٤ — النيل ذو المياه الكدرة ، التى ينعكس الضوء فوق أديمها ، كأنما هو قشرة رصاصية — يلمع مكسر الصفحة بغرس النهر ، تحت أضواء عمودية شاحبة .

٥ — والتماسيح الشرهة إلى الاقتناص ، تكاد تنضج فى جلودها فوق الرمال الملتهبة للجزيرات — تغرب فى الضحك بما ترسله من الزفرات .

٦ — والقلق ، منقاره إلى حوصلته ، ساكن فوق قدمه النحيلة ، يقرأ

(٤) تحكم

على قاعدة بعض الأعمدة والألقاب المفترسة للمعبود : توت .

٧ — والضبع يضحك ، وابن آوى يعوء ، والصقر كأنه فاصلة سوداء فى صفحة السماء النقية — جائع يصرصر ، راسما دوائر فى الهواء .

٨ — ولكن ضوضاء هذا القفر ، يحجبها تثاؤب تماثيل أبى الهول ، متعبة من احتفاظها السرمدى بالسكون .

٩ — ضجر خلقته الأشعة البيضاء ، تنعكس فوق الرمال . والشمس المتلألئة على الدوام ، وأى ضجر يشبه ما يبعثه نور الشرق الحزين ؟!

١٠ — هنا الهواء لو يجفف يوما دمعة فى عين السماء الجامدة ، والزمن متعبا يتكىء على هذه القصور الصامتة .

١١ — ليس عندى ما يغير وجه السرمدية ، فصر فى هذا العالم الذى يتغير فيه كل شىء تتربع فوق عرش الثبوت .

١٢ — عندما يسار فى الضجر ، أتخذ الفلاحين والموميات التى عاصرت رمسيس رفقاء وأصدقاء .

١٣ — هأنذا أرى عمودا مائلا ، وتمثالا ضخما بلا وجه ، وزوارق ذات قلاع بيضاء ، صاعدة هابطة فى النيل .

١٤ — كم (١) أتمنى أن لو كنت كأختى ، قد نقلت إلى باريس العظيمة ، وغرست فى ميدان هناك ، قريبة منها لأتسلى .

١٥ — إنها ترى هناك شعبا حيا ، واقفا نقوشها ، وخطوطها المقدسة ، التى يسبح الفكر لدى قراءتها فى عالم الأحلام .

١٦ — الفوارتان المقامتان بجانبها ، تقذفان رذاذهما الملون بألوان قوس قزح ، غبار صخرها القرمزى الذى عاد إليه الشباب .

١٧ — لقد نحتت مثله من الصخور الوردية بأسوان ، غير أننى بقيت فى مكانى القديم . إنها حية ، أما أنا فقدمت .

أحمد أحمد بدوى
مدرس بحلوان الثانوية للبنين

(١) هذا تقسو مسلة الأقصر على المصريين ، ولكن لعل فى هذه القسوة عظة وذكرى [المترجم] .